# تاريخ الخليج والبحر الأحمر

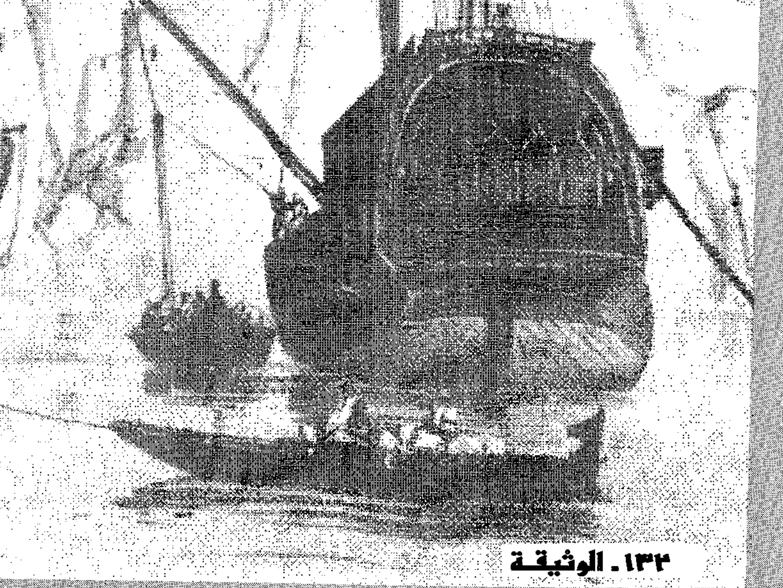
## ملوك هرمز ومقتطفات

ترجمه إلى الإنجليزية ويليام إف سنكلير

(متقاعد من ديوان موظفي الحكومة الإنجليزية في بومبي)

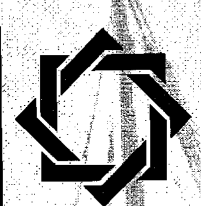
ونقله إلى العربية الدكتور عيسى أمين

**[ حباً في معرفة تاريخ الخليج ، ورغبة في دراسة أصول التدخل الأجنبي وأسبابه ، أقدم هذه الترجمة لكتاب نادر وآمل أن ينال إعجاب قراء العربية ]** د. عيسى أمين



# في أسفار بيدرو تينحسيرا (٢)

## من كتاب ملوك فارس



" قدمنا في العدد ٣١ من الوثيقة الجـزء الأول مـن هـذا الكتاب النادر الـذي يـترجم لأول مـرة إلى العربيـة . . ويسعدنا أن نقدم على هذه الصفحات الجزء الثاني منه راجين أن يحقق الهدف وأن يميـط اللثام عن كثير مـن الأحـداث التي دارت على الساحة، خاصة وأنه كتـب بقلم شاهد عيان "

[ الوثيقة ]

**إننا نعلم الآن ومـن قراءتنـا للفصل السـابق أن بيـدرو تينحسيرا قضى زمناً طويلاً في هرمز تعلم فيه اللغة الفارسية وترجم ملحمة توران شاه(١) - (ملوك هرمز) وملخص تاريخ فارس (مخطوط ميرخوند).**

**عندما عاد رحالتنا إلى البرتغال في ١٦٠١م أحضر معه التراجم المذكورة ولكن . وبسبب عودته السريعة مرة أخرى إلى الهند لأمور مالية تخصه لم يستفد العالم من هذه الأعمال إلا بعد عدة سنوات حيث استقر في النهاية في مدينة أنتورب الأسبانية آنذاك ١٦٠٥ - ١٦٠٩م ونشر ما كتبه عن ملحمة ملوك هرمز وتاريخ ملوك فارس إلى فترة دخول العرب إليها . وذلك بعد حصوله على تصريح بذلك . واستجابة لبعض الأصدقاء قام بنشر تاريخ ملوك فارس باللغة الأسبانية بدلاً من البرتغالية . وأضاف إليه كتاباً آخر وبنفس اللغة عن رحلاته وأسفاره حتى أبريل ١٦٠٩م.**

في عـــام ١٩١٠م خـــرج كتـــاب تينحسيرا إلى الناس عامة بمقدمة جميلة تذكر أسفاره ومحتوى الكتاب وقد لاقـى هذا الجـهد استحسان القراء واستخدم الكتاب كمرجـع لهـم عندمـا كتبوا عـن الشرق وخاصة فارس . وبعد وفاته بفترة قصيرة خرج كتابه مرة أخرى بلغة ثانية (**الفرنسية**) وفي النهاية جاءت الترجمـة الإنجليزيـة بواســطة الكـابتن جـون ستيفنز .

كانت ترجمة ستيفنز مجـزأة غطـى الجـزء الأول منـها الفـترة (١٦٠٠ – ١٦٠١م) و (١٦٠٣ – ١٦٠٥م) مــن أسفار تينحسيرا ونشرت هذه الترجمة في سلسـلة مقـالات شهريـة في مجلـة [**المجموعـات الجديـدة للرحــلات والأسفار**] والمطبوعـة في لنـدن في بدايـة ديســمبر ١٧٠٨م واســتمرت إلى عــام ١٧١٠م .

هذه المجموعة من المقالات أعيـدت طباعتها مـرة أخـرى في ١٧١١م وكـانت هذه المقالات تحمل عنواناً مثـل "**رحلـة بيتر تينحسيرا مـن الهنـد إلى إيطاليـا عـن طريـق الـبر**" أمـا بـاقي الترجمـة (**ترجمة ستيفنز**) فقد عادت للظهور في سـنوات تاليـة في كتـاب تزيـن غلافـه مناظر ترمـز إلى تـاريخ فـــارس – ويحمـــل عنـوانا طويـــلاً هـو "**تـاريخ فـارس الحـاوي علـى سـيرة وأعمـال ملوكها منذ نشأة الملكيـة حتـى يومنـا هـذا**" شـرح مفصـل للمنـاطق الفارسـية ووصـف للـهند والصـين وبـلاد التتـار وكرمان وجزيرة العرب ونيسـابور وجـزر سيلان والتيمـور والمـدن الكبـيرة مثـل شيراز ، سمرقند ، بخارى ، وعادات وطبـاع الفـرس مـن عبـدة النـاس ، والأشجـار والحيوانـات والمنتوجـات التجاريـة . وصـف لطـرق دفـن الموتـى الغريبة وحرق الموتى ، ومشروبات الدول المختلفة ، والصيـد البري والبحري ، والفيزيـاء وأشـهر الأطبـاء في الشـرق ، ومنجـزات تيمورلنـك ، وملخـص ملـوك هرمز ، وتاريخ فارس المكتوب بالعربيـة بواسـطة المـؤرخ الفارسـي الشـهير (**ميرخند**) وتـاريخ هرمـز الـذي كتبـه توران شاه ملك جزيرة هرمز ومترجم إلى الأسبانية بواسطة "**أنطونيـو تينحسيرا الـذي قضـى عـدة سـنوات في فـارس والهند ، وقد ترجمت هذه الأعمال إلى الإنجليزية الآن بواسطة الكابتن جـون ستيفنز في لندن**" . والذي يحاول إضافة تاريخ فارس حتـى بدايـة القرن الثـامن عشر . أما تينحسيرا فإنه يعطي شرحـاً

موجزاً لمقاطعات فارس وشجـرة أنساب ملوك الفرس مع شرح مطول عـن تـاريخ هرمز .

أما في الكتاب الثـاني فـإن ستيفنز اسـتطاع اختصـار الفصـول في كتـاب تينحسيرا (**تـاريخ فـارس**) مـن تسـعة وخمسين فصلاً إلى ثمانيـة وأربعـين ، ولـذا نجـد أن إعـادة فهرسـة كتـاب تينحسيرا أصبحت كالتالي :

١ – ترجمـة مختصـرة لمخطـوط ميرخوند (**تاريخ فـارس**) ورغـم احتـواء تلـك الترجمـة علـى عـدة أخطـاء إلا أن الفضـل يعـود إلى تينحسيرا في تعريـف العالم الأوروبي بهذا الفرع من المعرفة .

٢ – ترجمـة مختصـرة أخـرى للشاهنامة (**المفقودة**) والتي كتبها تـوران شاه ونقلها تينحسيرا ولـه يعـود الفضـل مرة أخرى حيث أنها الوحيدة الموجودة الآن . ولقـد اعـترف بفضلـه البـاحث السير هنري يول (**Sir Henry Yule**) وأكد أهميتها .

٣ – ملخـص لأسـفاره ١٦٠٠ – ١٦٠١م و ١٦٠٤ – ١٦٠٥م والـتي نستشف منـها أنـه كـان ذا عيـون راصدة ، وشديـد المراقبـة ، ودقيـق في التسجيل والنقل .

٤ – مجموعة من المعلومات أدخلها تينحسيرا في كتابه (**ملوك فـارس**) رغـم عـدم ترابطـها مـع موضـوع الكتـاب واحتوائها على معلومات عن طبيعة آسيا وأفريقيـا والأصـول السـكانية فيـهما والتاريخ الطبيعي والدوائـي وملاحظـات شخصية أخرى ، سواء شـهدها أو نقـلاً عـن رواة آخريـن ولكـن جميعـها ذات فائدة للدارسين .

لقـد كـانت وفـاة السيد دبليـو إف سينكلير (**W. F. Sinclair**) سـبباً في عـدم اكتمـال الترجمـة الأخـرى لكتـاب تينحسيرا ولكننا نستطيع أن ننقل رأيـه من الأوراق التي تركها لنا حيث يقـول في يناير ١٨٩٩م :

*" إنني أنظر إلى تينحسيرا على أنه كان شاهداً ممتازاً ومراقباً ثاقب النظر ، ولكـني لا أستطيع أن أجـزم – حاليـاً على الأقل – وأؤكد حقيقة كل ما كتبـه (**رغم ثقتـه الشخصيـة الكاملـة**) ولكـن ورغـم ذلك فقـد ترجمـت أسـفاره دون حذف أي شيء منها .*

*لقـد قمـت بترجمـة الشاهنامـة الخاصـة بتوران شـاه لأنـها النسـخة الوحيدة الآن .*

*أما بالنسبة (**الملوك الفرس**) فإن قيمته الآن أصبحت دون الترجمة الموجودة لكتاب (**روضة الصفا**) . "*

يعود السيد سينكلير ليكتب في ٢٣ يناير ١٨٩٩م قائلاً "**إنني أعتبر تينحسيرا من الرحالة الأوائل في العالم**" .

وفي فبراير من نفس العام يضيف قائلاً *"أنه مسافر محظوظ لأنه احتفظ بأجزاء بسيطة من الشاهنامة المفقودة في هرمز"* .

في مايو ١٨٩٩م يؤكد *" أن تينحسيرا كان حريصاً ودقيقاً كما هو متوقع اليوم من الرجال أمثاله "* .

إنني أقدم كل اعتذاري للدارسين والباحثين إذا ما وجدوا أن الأسماء المترجمة غير مقبولة حيث أنني قمت بالترجمة من العربية والفارسية وحاولت أن أعطي الأسماء قدراً كبيراً من الاهتمام لتطابق الواقع والمسميات الأصلية .

# مقدمة جون ستيفنز لكتب بيدرو تينحسيرا

# ( ملوك فارس ) و( ملوك هرمز ) المترجمة

## مع مقدمة كاملة لكل الأعمال

تعتبر فارس الآن ولعدة قرون مضت من أعظم الإمبراطوريات الشرقية ، ومع ذلك فإن المعلومات المتواجدة عنها **(وباللغة الإنجليزية)** تكاد تكون مجزأة ومحدودة - فهناك عدة مقالات عن هذا الجزء من العالم كتبت بواسطة الرحالة وتناولت حياة الناس وطبيعة البلاد وآخر الملوك الفرس ، هذا إلى جانب معلومات محدودة في التاريخ التركي وكتب أخرى تذكر دخول التتار إلى فارس .أرجو أن يسمح لي القارئ لعدم وجود الفصلين الأول والثاني والخاصين برحلة تينحسيرا من الهند إلى إيطاليا لذا سوف أترجم الفصل الثالث .

## الفصل الثالث

## كيف سافرت من هرمز ووصلت إلى أعالي الخليج

## وعبرت دجلة والفرات إلى مدينة البصرة

قمنا بالاستعداد مرة أخرى والتزود في هرمز مرة أخرى وابتدأنا سفرنا في ١٧ يونيو آملين في رحلة موفقة هذه المرة ،قد أكدوا لنا أن الرياح الجنوبية الغربية أقل سرعة ومتقطعة الآن - وبالفعل وجدنا الفرق ولكن ليس بالصورة المؤملة .

هذه المرة توجهنا في مسار بحري مقابل لجزيرة قشم وبمحاذاة نفس الساحل مثل المرة السابقة وتجاوزنا المياه الضحلة **(الخان)**(٢) وبعدها إلى قلعة **(ريشل)**(٣) في المنطقة المشهورة بالخبز والفواكه والخضار ، وتتبع هذه القلعة

الملك أو الشاه الفارسي وهي محصنة ويقيم فيها العساكر - ومن هناك توجهنا شمالاً إلى (**ريخ سيف الدين**)(٤) والمقصود به رمال سيف الدين ، وتسكن هذه المناطق الجماعات العربية والموالية لشاه الفرس ولكنهم يعترفون ويتعاملون مع البرتغاليين ويحملون معهم أوراقهم الخاصة ، أو جوازات سفرهم وإلا تعرضوا للهلاك بواسطة السفن البرتغالية .

لقد كانت العلاقة بين رجال (**بندر ريخ**) والبرتغاليين سيئة جداً وذلك بسبب حوادث سابقة . لذا وجدنا السكان قد هربوا عندما شاهدوا الغلايين المرافقة لنا .

وتقع جزيرة خرج في موقع مقابل لبندر ريخ وعلى بعد ثلاثة فراسخ (**تسعة أميال**) من الشاطئ وتعتبر ملجأً جيداً ضد الرياح الشمالية الغربية - وتغطي مساحة كبيرة منها الجبال الصخرية ، مع توافر المياه ، وبها أشجار النخيل ومزارع البصل وكثير من الأغنام والماعز ، وتصدر منتجاتها إلى البصرة .

يعتبر أهالي جزيرة خرج من الأعراب الموالين لشاه فارس .

لقد توقفنا في هذه الجزيرة في ٢٥ يوليو ولمدة أربعة أيام بسبب الرياح . وعلى الساحل المقابل تقع المناطق المرتفعة من الأراضي الفارسية والتي تتجه عند هذه النقطة إلى محاذاة الساحل وتعود لتختفي مرة أخرى إلى الداخل كلما بعدنا عن هذه الجزيرة إلى أن نصل إلى مناطق دونها مستوى اليابسة و نكاد لا نراها مرة أخرى .

وعند عبورنا بندر ريخ ، أو ريخ سيف الدين و رشتل ، شاهدنا مصبات الأنهار فيها(٥) .

اتجهنا غرباً بعد ذلك وفقدنا اليابسة ليس لبعدها ، لكن بسبب انخفاض مستواها عن البحر - ومن هنا كان قبطان سفينتنا من أهالي جزيرة خرج ورغم أنه قبطان معروف ومشهور بمعرفته للمسارات الضيقة ، إلا أنه كاد أن يجنح بسفينتنا إلى اليابسة في منطقة تسمى (**الخراب**)(٦) ويقال أنها كانت مدينة قديمة قد غطاها البحر، وكان عرض المنطقة المذكورة أربعة فراسخ ولكن عبورها يحتاج حيطة كبيرة وسفينة في المقدمة للتأكد من عمق البحر .

في أول أغسطس وصلنا إلى شط العرب ويسمي العرب النهر المشهور بـ [**الشط**] والنهر الأصغر [**خور**] أو [**ود**] . لذا نجد في الأسبانية [**ود الكير**] و [**ود يانا**] وهي تعني نفس الشيء .

هذا الشط ناتج عن التقاء دجلة والفرات في منطقة القرنة ، ومنها وعلى بعد ثلاثة أيام تقع البصرة .

وفي القرنة وجدنا قلعة تركية تتحكم القوات المقيمة بها بالمسارات المائية القريبة منها والتي تتوزع إلى الشمال والجنوب ، علماً بأن المناطق الشمالية تابعة لمبارك بن مطلب الزعيم العربي والمعادي للأتراك وتقع أراضيه في المناطق الفارسية ولكنه يطالب بها وبالبصرة أيضاً .

هذا إلى جانب وجود مدن متميزة في منطقته مثل الحويزة والدورق والمجدم ، هذه المدن تحيط بها مناطق زراعية واسعة ولكن لا يعتني أحد بها خوفاً من هجمات الأتراك ، أما المناطق الجنوبية والواقعة في مناطق النفوذ العربية فهي تمتاز بنخيلها وبساتينها .

ينحني النهر عند مصبه حنية كبيرة ولكنه يعود إلى مجراه الطبيعي قبل نهايته ويكاد يغطي مساحة ميلين في العرض وستة أبواع في العمق مع اختلاف المنسوب المائي وسرعة تدفق المياه من موسم إلى آخر . وتمتاز هذه المناطق سواء الشمالية أو الجنوبية بكثرة الطيور من الأوز والحباري ، والخنازير البرية ، وينتقل سكانها بين جزء وآخر على جلد الحيوانات المنفوخ .

وعند وصولنا إلى هنا جاء الكثير من السكان العرب على الجلود المنفوخة إلى محاذاة سفينتنا بقصد بيع الدجاج والبيض والزبد والتمر وأشياء أخرى رخيصة جداً .

ورغم قوة الرياح المعاكسة فقد استطعنا دخول النهر ، وبعد ثمانية أو تسعة فراسخ وجدنا أن مسارنا المائي قد انقسم إلى اثنين متساويين ومتوازيين ينحدر أحدهما جنوباً خلال جزيرة العرب إلى أن يصل إلى القطيف قرب البحرين[7] .

أما المسار الآخر فهو أعمق وأوسع من الآخر ، ومجرى الماء فيه أقوى ، وبعد مسير مسافة صغيرة في هذا المجرى واجهتنا جزيرة صغيرة مليئة بأشجار النخيل[8] .

في ٦ أغسطس في الثامنة صباحاً وصلنا إلى سيراج[٩] حيث تستخدمها السفن في إفراغ حمولتها .

توقفنا في سيراج بقرب قلعة الأتراك في ضاحية مباركة وللأتراك قلاع كثيرة على المسارات المائية لحماية جنودهم من هجمات الأعراب . ولسد احتياجات ومصروفات الحامية وغيرها .

توجد في هذه القلعة ترسانة للأسلحة والمدافع ومجموعة من السفن الصغيرة وغير المتقنة الصنع ، وإنني لا أعتقد أن هذه السفن والأسلحة وجدت لتكون ضد البرتغاليين ولكن وجودها للسيطرة على العرب الثائرين ضد الضرائب الباهظة - ولقد تم إنزال سفينة جديدة أثناء تواجدي في البصرة وإنني أعتقد أن صغر حجم هذه السفن ناتج عن عدم تواجد الأخشاب وغلاء ثمنها .

ويعبر سكان القلعة القناة المائية على جسر خشبي محمول على ثماني سفن صغيرة وفي المناطق الأخرى بواسطة سفن صغيرة استخدمت فيها قطع الأخشاب الصغيرة والمختلفة ورغم ذلك فهي تسرب الماء حيث أنها مدهونة بالقار .

تمتاز مدينة البصرة بتمورها الجيدة والمتنوعة ومنها تصدر إلى بغداد وموانئ فارس وهرمز وتعتبر غذاءً رئيسياً فيها .

وكذلك الخضار والفواكه والحبوب والأرز وأسعارها منخفضة نتيجة تنافس المستوردين من بندر ريخ والدورق - هذا إلى جانب جميع أنواع المواشي والأسماك النهرية التي لم أستسغ طعمها .

وتعتبر البصرة عاصمة التجارة ومحطة التجار القادمين من فارس والبحرين والأحساء و الهند عن طريق هرمز و بغداد ، وللأسف تكثر فيها العقارب و رأيت أحدها بحجم سمك السرطان النهري .

وهواء البصرة غير نقي وغير صحي ومناخها حار جداً وسكانها أغلبهم من الأتراك والعرب مع أن الغالبية من السكان الأصليين من العرب .

يتم الانتقال البري في البصرة بواسطة الجمال والبغال والخيول والحمير ويصدر بعضها إلى هرمز ومنها إلى الأسواق الهندية .

لقد وجدت بعض منازل البصرة في حالة سيئة وتنقصها بعض الجدران وتم بناؤها على عجل وذلك لأنه ومنذ عدة

أيام وقع انفجار كبير في مخزن للبارود ويعتقد أن ألف كيس من البارود احترقت وهزت بيوت المدينة بشدة حتى أن الناس ظنوا أن نهاية العالم قد اقتربت ، وتأثرت بهذا الانفجار مباني المدينة والتي ربما مضى عليها مائتا عام .

لقد استولى الأتراك على هذه المدينة منذ خمسين عاماً (١٥٤٦) بعد أن حكمها طاغية عربي .

ليس هناك الكثير أستطيع ذكره عن عادات الناس وملابسهم حيث أنهم عرب وأتراك ـ ويتعامل الناس بكل أنواع النقود من الفضة والذهب مع أن العملة المضروبة محلياً من الفضة والنحاس .

أما العملة الفضية فتسمى اللاريه **(نسبة إلى مدينة لار في فارس وقد ضربت أول عملة بهذا الشكل فيها)** فهي عملة مستطيلة متينة الطرفين وتساوي في الوقت الحاضر عشرة بنسات .

أما العملة الثانية فهي مستديرة وتسمى (**شاهي**) وتشابه عملتنا الريال ولكنها أقل إتقاناً من العملة الفضية .

ليس في البصرة مبان ذات أهمية ولكنها تحتوي على عدة حمامات أهلية نظيفة في حالة جيدة ومريحة ويستخدمها الرجال في الصباح حتى منتصف النهار والنساء من الظهر حتى الغروب ويعاقب من يخالف هذه المواقيت .

تخترق القناة الصناعية أرض البصرة وتروى منها البساتين على الطرفين وأخبرني أحد المعمرين أن هذه القناة كانت تصل إلى ثلاثين فرسخاً داخل البصرة لكنها أقصر من ذلك الآن .

في أحد الأيام دعيت إلى مقابلة أحد شيوخ البصرة وكان هذا الشيخ يملك كثيراً من الأراضي التي مررت بها بعد ذلك . وكان يدعى الشيخ محمد بن رشيد وكان رجلاً يستحق مركزاً أعلى مما هو فيه .

ولقد حدثني هذا الشيخ بواسطة مترجم وأخبرني أنه لم يشاهد افرنجياً من قبل (**اسم يطلق على المسيحيين الأوروبيين آنذاك**) وقد تعجب لمظهري وملابسي وتصرفاتي ، وبعد وجبة من لحم الخراف (**غير المطبوخ جيداً**) استأذنت في الانصراف وفي طريق عودتي

قام ركاب السفينة بالصلاة بعد أن مررنا قرب مبنى صغير يشبه الصومعة .

غادرت السفينة في مباركه وعدت إلى اليابسة عن طريق قناة يجري فيها ماء عذب وأعتقد أن عمقها كان باعين أو ثلاثة وعلى جانبيها بساتين النخيل والخضار، وبعد مسيرة فرسخ واحد وصلت إلى البصرة .

البصرة مدينة عربية على بعد ميلين جنوبي نقطة التقاء دجلة والفرات وتتصل بهما عن طريق قناة العشار .

تقع هذه المدينة في منطقة مستوية من الأرض وتحتوي على عشرة آلاف مسكن بما في ذلك المساكن الواقعة داخل أسوارها ومساكنها كبيرة ولكن ينقصها الجمال المعماري ومبنية بالطوب المحروق الذي لايبقى أكثر من ثلاث سنوات في الغالب .

أما بيوت السكان الفقراء فهي مبنية من البوص والسعف . أما قلعة البصرة الكبيرة فهي في حالة غير مصانة وقد تهدمت أغلب جدرانها ، ولكن لا يزال الخندق المحيط بها على حاله ومن الممكن أن يمتلئ بالماء من القناة القريبة ، ولقد وجدت أن أغلب مساكن البصرة داخل قلعتها وكذلك قلب المدينة وشوارعها التجارية ومحلاتها المهنية - وحاميتها المكونة من ثلاثة آلاف رجل أغلبهم من العرب والأتراك والأكراد فرساناً وحملة بنادق وقصر الباشا حاكم القلعة في السلم والحرب ونقطة جمارك تجمع منها الضرائب .

وأخبرت بوجود مزار لعيسى بن مريم روح الله وأن المزارع المحيطة به وقف لصيانته ورعايته وتعجبت من ذلك حيث أنني لم أتوقع أن يخصص القوم له مزاراً(١٠) .

# ملخصات

## الملخص الأول

# تاريخ مختصر لنشأة مملكة هرمز وملوكها حتى دخول البرتغاليين

## نقلا عن التاريخ المكتوب بواسطة توران شاه ملك هرمز

أجاد الملك توران شاه الشعر والنثر الفارسيين واستخدم هذه القدرة الفائقة في كتابة تاريخ نشأة مملكة هرمز وبداية ملوكها - ولقد أطلق على مخطوطه **(الشاهنامة)** .

تاريخ الملوك - مبتدئاً بآدم. ولكن سوف أحذف بعض الصفحات من هذا المخطوط وأدخل في الموضوع المطلوب وهو نشأة المملكة وتاريخ ملوكها مع إبقاء ما هو مهم وحذف المادة عديمة الأهمية .

يذكر توران شاه وجهات نظر مختلفة عن نشأة المملكة وتاريخ أول ملك يحكمها ويترك الخيار للقارئ في الأخذ بالنظرية المقنعة والتي تناسب ذوقه الأدبي والتاريخي .

ويبدأ توران شاه قائلاً "في البداية كان هناك أمير عربي يسمى محمد درام كوبا **(كتبت هكذا)** وهو من أحفاد مملكة سبأ حيث كانت بلقيس التي قامت بزيارة سليمان .

لقد أراد هذا الأمير زيادة ملكه **(كما هو حال الملوك)** فقام بإخضاع الدول المجاورة له وواصل مسيره حتى وصل إلى الساحل المقابل للمضيق الذي

نطلق عليه نحن البرتغاليين (**مضيق هرمز**) وهنا طلب هذا الأمير من أتباعه العبور معه إلى أرض فارس حيث ينوي إنشاء (**بندر**) يكون أعظم من صحار (**الميناء العربي على الجهة الغربية من مضيق هرمز والذي كان في يوم من الأيام عامراً وقد أصابه الدمار والخراب الآن**) .

وبعد أن استشار الأمير محمد أتباعه توجه إلى قليهات الميناء العربي على الخليج والواقع قرب رأس الحد ومن هنا عبر هو وأتباعه إلى جسك ومنها توجه شمالاً إلى كوهستاق (**ميناء على الساحل الفارسي**) وترك الأمير محمد ابنه ووزيره في قليهات واخبرهم في حالة فشله أن ينشئوا ميناء فيها .

عندما وصل الأمير محمد إلى كوهستاق وأنزل رجاله من أجل البحث عن مكان مناسب له أخبره الناس عن مكان غير بعيد يسمى هرمز وهو المكان المناسب لمشروعه القادم .

وجد الأمير أن المكان مناسب فاستقر فيه وبنى المدينة ويعتقد أنه هو الذي سماها هرمز ووزع الأراضي على مرافقيه وضرب العملة التي حملت اسمه (**درامكو**) .

رافق الأمير محمد ابنه سليمان والذي بفضله اتسعت المدينة وزادت خيراتها .

حكم الأمير (**الشاه محمد**) بالعدل والحزم وكانت حكمته وسمو صفاته سبباً لتحالف حكام المناطق المجاورة (**مثل شيراز وكرمان**) معه .

توفي الشاه محمد بعد عدة سنوات من إنشاء هرمز وحكم بعده ابنه سليمان .

أما رواية توران شاه الثانية فهي كما يلي :

لقد كان والد الشاه محمد ملك في الجزيرة العربية وقد خسر معركة ضد أعدائه واضطر لذلك لترك جزيرة العرب فعبر مياه الخليج الى مغستان (**منطقة شرقي هرمز**) واستقر هذا الملك مع ابنه في ذلك الموقع الذي كان يحكمه حاكم طاغية... وهنا تدخل بعض القصص المتداولة عن تخفي الابن في لباس عروس جميلة ودخوله القصر والقضاء على الطاغية وذلك بعد موافقة الأهالي وانتصار الشاه محمد وتوليه الحكم .

ويعود تينحسيرا إلى الرواية الأولى ويكمل بقوله :

حكم الشاه سليمان بعد والده محمد مدة طويلة تميزت بالعدل والكرم والأمن وتوفي بعد سنين طويلة من الحكم لملكة هرمز. وتولى ابنه عيسى الحكم وكان عادلاً مثل أبيه ونصح رعاياه بزراعة الأرض ووسع ملكه وتوفى تاركاً الحكم لابنه -**لاشكري**- والذي رعى الفقراء وامتاز مثل والده بالعدل وظهرت عليه علامات الإمارة فترك والده الحكم له وقضى باقي أيامه في عزلة تامة إلى أن توفى .

كان لاشكري بن عيسى مثل والده حكيماً عادلاً وترك بعد وفاته ابنه عيسى الثاني حاكماً لملكة هرمز وكان عيسى الثاني سادس حاكم لهذه المملكة .

امتاز عيسى الثاني بحروبه وتوسعاته والتي أدت إلى اتساع رقعة مملكته وكبر شأنها .

بعد وفاة عيسى الثاني جاء محمد وكان له أولاد كثيرون ومنعاً للصراع من أجل السلطة قام السلطان بتوزيع أقاربه وأولاده على مناطق مختلفة وفي قلاع محصنة لا يتركونها إلا بإذنه .

لذا نجد أن الشاه محمد أرسل ابن أخيه مير شهاب الدين مالنك إلى قلعة قات والتي تقع في فارس في أراضي إبراهيمي[١١] ومغوستان .

لم يمنع ذلك شهاب الدين من أن يقوم بالمؤامرة على قتل الشاه محمد ولذا قام الأخير بإعطاء التعليمات لقتل قطب الدين الذي ما أن بلغته الأخبار حتى هرب إلى قلعة سيجون وتزوج من ابنة قائدها وولدت له ولداً سمي نصرت ركوب دار وابنة سماها ست الخاتون .

توفي الشاه محمد في هرمز دون أن يناله أحد .

تولى ابنه الشاه محمود من بعده وكان يسمى شاهنشاه وواصل البحث عن شهاب الدين إلى أن مرت عدة سنوات قامت بعدها مجموعات من أرض (صير) بمهاجمة هرمز[١٢] خرج شاهنشاه في جيشه لمواجهة الأعداء .

عندما بلغ الخبر مير شهاب الدين عقد الصلح مع ابن عمه وطلب الإذن من والد زوجته متوجهاً هو ورجاله إلى هرمز لساعدة شاهنشاه وعندما قتل شاهنشاه في المعركة مع الأعداء نودي بشهاب الدين ملكاً على هرمز .

انتصر شهاب الدين على أعدائه واستخلص منهم مملكته - بعدها زوج ابنته ست الخاتون إلى الأمير سيف

الدين بن قيصر بن علي (**أخ شهاب الدين**) والذي كان حاكماً لجزيرة قيس[13].

توفي علي بعد ذلك في قيس وعملاً بنصيحة شهاب الدين توجه الأمير سيف الدين (**زوج ابنته**) إلى قيس ليتوج ملكاً عليها .

توفي بعد ذلك شهاب الدين واستولى وزيره الرئيس شهريار على زمام الملك في هرمز .

وبوفاة شهاب الدين ثار أهالي جزيرة قيس ضد حاكمهم الأمير سيف الدين الذي هرب إلى هرمز وخرج أهاليها لاستقباله توجه الوزير شهريار إلى قلعة (**ضمير**) مع عشرة من رجاله وواصل الأمير سيف الدين زحفه عليها وقتل الجميع فيها فنودي به ملكاً على هرمز .

كان أول عمل قام به الأمير سيف الدين تزويج بنات شهريار الثلاث إلى ثلاثة رجال من بلاطه وبعدها هجم على جزيرة قيس لينتقم من أهاليها وقتل الكثير منهم وأخذ زعماءهم رهائن معه. وفي طريق عودته توقف في جزيرة جرون أو قرون (**والتي تسمى الآن جزيرة هرمز**) ودخل إلى اليابسة وتسلق جبلاً هناك قتل عليه رهائنه ولذا سمي هذا الجبل (**جبل الرجال القتلى**) (**أو كوة كوشتاران**) وعاد بعدها إلى هرمز واستقر بها في أمن وسلام إلى أن توفي وتولى بعده (**ابن أخيه**) المسمى شهاب الدين محمود .

كان شهاب الدين (**ابن عيسى الثاني**) الملك الحادي عشر لملكة هرمز وكان عادلاً ورحيماً في حكمه .

بعد وفاة شهاب الدين محمود تولى (**ابن أخيه**) المسمى ركن الدين محمود (**ابن حمد**) السلطنة وقد ازدهرت هرمز أثناء فترة حكمه وكان لها جيش قوي كتبت له الانتصارات في عدة معارك والتي امتدت إلى ظفار وحكم ركن الدين محمود خمسة وثلاثين سنة وتوفي في ٦٧٦هـ الموافق ١٢٨٧م .

تولى الأمير سيف الدين نصرت (**ابن ركن الدين**) والحاكم الثالث عشر لملكة هرمز السلطنة بعد وفاة أبيه ولكن قامت معارضة قوية بين اخوته لتوليه السلطة وقاد هذه المعارضة أخواه الأمير قطب الدين تهمتان والأمير نصر الدين فولاد ورغم وقوف الجنود إلى جانب سيف الدين نصرت إلا أن اخوته انتصروا عليه واضطر هو ووالدته (**بيبي**

**بانك)** إلى مغادرة مملكة هرمز وتوجهت بيبي بانك إلى كرمان حيث قابلها السلطان جلال الدين سراج والذي أحسن معاملتها وأرسل جنوده مع ابنها سيف الدين وأعاده إلى عرشه في مملكة هرمز ومع استمرار مقاومة أخويه استطاع سيف الدين اعتقال أخيه الأمير نصر الدين فولاد وأعدمه .

وبعد هذه الحادثة قام أخوه الثاني الأمير قطب الدين تهماتان وبمساعدة مالك بن سيف الدين أبوبكر العوفي بغزو هرمز ومحاربة سيف الدين نصرت وهزيمته في (**دنو**)(١٤) مما أدى إلى هرب سيف الدين إلى (**قمصره**)(١٥) ومن قمصره إلى (**لفت**) والتي هي ميناء بحري في جزيرة بركت ؟ وتسمى الآن قشم أو الجسم .

بعد هرب سيف الدين اختلف مالك مع قطب الدين تهماتان فثار الناس والجنود واستدعوا سيف الدين ليحكم من جديد مملكة هرمز ويطرد مالك سيف الدين منها .

بعد عودة سيف الدين إلى السلطة قام اثنان من باقي اخوته (**الأمير مسعود والأمير طورخان شاه**) بالتآمر عليه وقتلاه وقتلا معه أمه بيبي بانك وأخته بيبي عنايتي .

وكانت مدة حكمه اثنتا عشرة سنة وقتل في ٦٨٩هـ الموافق ١٢٩١ميلادية .

تولى الأمير مسعود زمام السلطنة بعد مقتل أخيه سيف الدين وكان شديد البأس يحب الحروب وظالم كرهه كل الرجال وقتل الكثير منهم .

التجأ الكثير من رجاله إلى الأمير بهاء الدين عياض سيفين (**الوزير المعين في ميناء قليهات بواسطة الملك سيف الدين نصرت لإخلاصه ووفائه**) وفي هذا الميناء العربي توجه الأمير بهاء الدين وجيشه إلى هرمز وطرد منها الأمير مسعود فخرج لاجئاً إلى كرمان ومنها الى **سيرجان (الاسم الآخر لكرمان)** حيث قضى فيها بعد أن حكم هرمز مدة ثلاث سنوات .

تولى الأمير بهاء الدين سيفين أمور المملكة وأعاد تنظيمها وإدارتها ولكن قام أخوه مسعود لمقاومته وخرج له مير طور خان شاه ومير سلجوت في حزب معارض له وتراسلوا مع أخيهم مسعود من أجل إعادته إلى هرمز ولكن تمكن منهم الأمير بهاء الدين وقتلهم فاستقر له الحكم بعد ذلك إلى أن دخلت القبائل

التركية الغازية أرض فارس في ٧٠٠ هـ الموافق ١٣٠٢م ودمروا كرمان وهرمز وكانت ثروة هرمز العظيمة سبباً في عودة الأتراك المتكررة لمهاجمتها حتى اضطر أهلها لتركها نهائياً إلى مناطق أخرى .

ويعتقد هامر برجستال (**Hammer Pargstall**) بعد دراسة مخطوط (**عبد الواصف**) بأن مملكة هرمز كانت تابعة لسلفر أتابك فارس وبعد سقوط آخر أتابك (**محمد تلهاتي**) قام حاكم هرمز بالاستيلاء على الجزيرة وأعلن نفسه حاكماً على المملكة.وقام ابنه نصرت بقتل أخيه ركن الدين وزوجته وقام ملك بن بهاء الدين غيات (**أحد مماليك الزوجة**) بالانتقام لسيدته وساعده في ذلك جلال الدين ملك كرمان، ولكن في النهاية هرب بهاء الدين إلى جزيرة قيس وقابله المفتي جمال الدين مفتي فارس وأعطاه اثنتي عشرة ألف قطعة من الذهب (**من إيرادات التاج الفارسي**) وذلك لتشكيل جيشه الجديد وبعد هزيمة مسعود توجه إلى جزيرة لارك وجمع ألفين من التوامين الذهب والفضة وأشياء أخرى ثمينة وتوجه إلى هرمز ونادى على المنبر باسم فخر الدين أحمد بن إبراهيم العتيبي وقام المفتي جمال الدين الشيرازي (**والذي ذكرنا اسمه سابقاً والذي هو جامع ضرائب فارس**) بالتوجه إلى هرمز حيث قامت اضطرابات بينه وبين فخر الدين حاكم الجزيرة وتحولت هذه الاضطرابات إلى مواجهات عسكرية بينهما .

لم يتدخل بهاء الدين غيات لمساعدة صديقه السابق (**جمال الدين**) ولكنه ساعده في النهاية على الهرب من الجزيرة بعد هزيمته .

في السنة التالية (**١٥ يوليو ١٢٩٦م**) وعندما أصبح جمال الدين مسئولاً عن ضرائب فارس وسواحلها وجزرها دخل هرمز مرة أخرى على رأس جيش عظيم وطلب من بهاء الدين إخلاء الجزيرة .

وقام المفتي بمساعدة ركن الدين مسعود بحشد قواتهما ولكن تصدى لها بهاء الدين غياث وهزم بهاء الدين السفن الحربية الخاصة بالمفتي وركن الدين ولاحقها إلى جزيرة قيس وقام بنهبها. لقد أثر ذلك في ملك الإسلام (**المفتي جمال الدين**) وازداد قلقه للسفن التي تصل من الهند مع الرياح الموسمية لذلك عقد المفتي الصلح مع بهاء الدين غيات وفخر الدين العتيبي .

تبدو هذه المعلومات مشوشة ولكن تم نقلها كما هي مكتوبة بالإنجليزية .

## جزيرة قشم :

=================

تقع جزيرة قشم بمحاذاة الساحل الفارسي يفصلهما مسار ضيق من بحر الخليج، ويبلغ طول هذه الجزيرة خمسة وعشرون فرسخاً وعرضها اثنان إلى ثلاثة فراسخ .

لقد أمر غياث أهالي هرمز بالعبور إلى هذه الجزيرة واستجابوا له بكل طاعة ونقلوا معهم كل ما استطاعوا حمله وما تبقى من ممتلكاتهم بعد غزوات الأتراك .

وبعد استراحة عدة أيام قرر غياث البحث عن جزيرة أخرى ووصل إلى جزيرة فاصله على بعد فرسخين من قشم تسمى جزيرة قارون **(حيث كان يسكنها رجل مسن وزوجته يصطاد السمك ويبيعه لركاب السفن المتوجهة من جزيرة قيس إلى الهند، مقابل الأرز والملابس)** .

أرسل قارون إلى غياث برغبته في جزيرته ووصل غياث إليها وبعد معاينتها استقر الرأي على السكن فيها دون أخذ إذن من حاكم جزيرة قيس الذي كانت هذه الجزيرة والجزر الأخرى في الخليج تابعة له .

وجزيرة قيس كما يسميها العرب والفرس هي جزيرة صغيرة تقع وسط مضيق البصرة وبها منابع الماء وكثرة الأخشاب وكانت إلى وقت مضى مركزاً للمملكة – ولكن كسدت تجارتها الآن بسبب اللصوص القادمين من نخيلو ونخل تقي والذين يقومون بأعمال القرصنة في المياه المجاورة لجزيرة قيس والتي أدت إلى تدهور التجارة التي كانت تعادل تجارة هرمز في وفرتها وضخامتها معين كان ملك جزيرة قيس وحكم جزيرة قارون أيضاً وعين فيها شيخاً للدين يسمى الشيخ إسماعيل من قرية قرب لار وكان هذا الشيخ يطوف بالجزر المحاذية سنوياً لجمع الهبات له وللفقراء في بلدته .

وبعد لقائه بغياث قام الأخير بإرساله إلى حاكم قيس يطلب منه بيع جزيرة قارون أو إعطاءها لغياث دون مقابل استطاع الشيخ إسماعيل الحصول على الجزيرة لغياث وأهالي هرمز هبة من معين إليهم ولكن أصر غياث على دفع ثمن الجزيرة نقداً واعترافاً بفضل

الشيخ إسماعيل أصبح من عادات ملوك هرمز إعطاء أحفاده مصروفاً سنوياً (**وقد شاهدت ذلك أنا بنفسي أكثر من مرة**) .

وبعد أن امتلك غياث جزيرة قارون أطلق عليها اسم جزيرة هرمز لكن لا ينسى الجميع مملكتهم هرمز. ولكن بقيت هذه الجزيرة في ذاكرة العرب والفرس جزيرة قارون - وكذلك لم تفقد هرمز الأصلية اسمها رغم إطلاق الاسم على الجزيرة بعد استقرار أهالي الأولى فيها .

ولكن يروي باروس (**Barros**) قصة مختلفة عن جزيرة قارون حيث يقول :

*"إن ملك قيس كان موافقاً على بيع جزيرة قارون إلى (غوردن شاه) ولكن رفض بعض أتباعه وزوجته عملية البيع بحجة أن هذه الجزيرة تتحكم في مدخل المضيق ولكن تدخل القاضي (الشيخ دينار) (وتعني هنا مفتي قيس) فقام ملك قيس بعد مجابهة عنيفة مع زوجته بإعطاء الجزيرة إلى غوردن شاه"* .

ويقول باروس *"أن الرشاوى لعبت دورها إلى جانب إعطاء الشيخ دينار مساعدة دائمة لمسجد سوف يقوم ببنائه في بلدته وهذا ما جعل ملوك هرمز يخصصون مصروفاً سنوياً لهذا المسجد حتى اليوم في مدينة لار"*.

أما كوتو فيقول *"أن المعارضة جاءت من أم قيس وليس زوجته"*.

يقسم البحارة الهنود الخليج إلى قسمين الأول منهما مضيق هرمز ويبدأ عند جوارد في فارس وخليج عمان ومضيق البصرة من هرمز أو قارون إلى مدينة البصرة نفسها والتي تقع في رأس الخليج حيث يلتقي دجلة بالفرات .

ويبلغ اتساع الجزء الأول مائة فرسخ أما الثاني فيبلغ مائتي فرسخ تقريبا .

وتقع جزيرة هرمز أو قارون (**والتي يبلغ طولها من ستة إلى سبع أميال**) على مسافة ٥ أميال من شواطئ فارس ابتداء من (**دوس**) وعلى بعد تسعة فراسخ من أرض الجزيرة مع اختلاف الشواطئ على الجانبين فهي أحسن للملاحة على الجانب الفارسي .

تحتوي جزيرة هرمز أو قارون على بعض المعالم ذات الأهمية لذا سوف أذكر بعضها للقراء :

جزيرة هرمز بركانية لذا تكسوها الجبال العالية والصلبة من طرف إلى

آخر مع صفاء جوها وملوحة مائها وتحتوي على كميات كبيرة من ملح الطعام الجبلي والبحري والمفضل منهما البحري حيث تأخذه السفن إلى البنغال ولهذه الجزيرة ميناءان (أو بندران) شرقي وغربي طبيعيان وكأنهما حفرا في الصخور وأهم بندر فيهما الشرقي حيث بنيت قلعة للبرتغاليين تعتبر أحسن قلعة في الشرق من حيث القوة والعمارة والتخطيط وفي مكان هذه القلعة كان يعيش قارون والذي سميت الجزيرة على اسمه .

ورغم وجود ينابيع الماء إلا أنها مالحة لذا تجمع مياه الأمطار وتخزن للاستعمال. ماعدا في بقعة واحدة من الجزيرة وتسمى (**توران باغ**) (**توران باغ يعني بستان توران**) حيث يوجد بها بئر تروي منه مزارع الملك والوزير، في هذه البقعة تنمو أشجار كثيرة ولكن باقي الجزيرة يفتقر إلى الأشجار مع وجود شجرة واحدة نجدها في كل مكان تسمى شجرة الكنار وهي خضراء طيلة العام ومع ندرة الأعشاب يكاد يكون (**السنامكي**) ويسميه بيدرو في الأصل (**سنافمن مكة**) هو العشب الطبي الوحيد فيها. ويصنع سكان الجزيرة من الطين المالح حاويات للماء (**قلل**) يبرد فيها بطريقة مذهلة .

وأذكر أنني عندما كنت في هرمز عام ١٥٩٦م وكان ملكها فيروز شاه الرجل العجوز والذي وقع في غرام أموال بيبي فاطمة أرملة أحد رعاياه الذي كان يدعى رئيس بدر الدين وكان وزيراً في موغستان في فارس. حاولت بيبي فاطمة تعجيز ملك هرمز فطلبت منه أن يزرع بستاناً جديداً ويحفر بئراً في (**توران باغ**) علماً منها بأن هذا مستحيل، ولكن ولجشع ملك هرمز قام بما أمرته به بيبي فاطمة ولكن مع ذلك لم يحصل الملك على أموالها .

بالقرب من توران باغ وقرب البحر هناك بئر للماء ويسميها أهالي هرمز (**عبد الرحمن**) وماؤها ذو فوائد كبيرة وشربه يسبب الإسهال لذا يتوافد الأهالي في موسم معين لشربه وبعد نوبة الإسهال يتناولون البرتقال أو الليمون ولو خرجت حبوب الثمار مع الإسهال فانهم يعتقدون أنه تم شفاؤهم فيتوجهون إلى تناول الوجبات الرئيسية .

يتوفر الصيد الكثير في هذه الجزيرة من الغزلان والطيور وأتعجب كيف تعيش هذه المخلوقات في مكان لا يتوفر

فيه الماء العذب وتوجد الذئاب ولا أحد يعلم كيف تعيش في هذه الجزيرة .

لقد كانت مدينة هرمز عامرة قبل الآن وقد أزيلت حالياً بعض المساكن من أجل بناء القلعة أما المنازل الباقية فهي جيدة البناء واستخدمت أشجار الجزيرة في بنائها وبعض الأحجار قطعت من البحر وتمتاز بخفتها وتقاوم الزلازل التي تشتهر بها الجزيرة ويستخدم الأسمنت المسمى (**كبح**) في ربط الأحجار ويجلب من الأرض الفارسية لأن المحلي منه أحمر اللون وأقل جودة وتستخدم مادة أخرى في البناء يضاف إليها الماء وتسمى (**صاروج**) وتجمع هذه المادة على هيئة تله وتحرق إلى أن يتحول لونها إلى الأبيض ثم تضرب بواسطة مجموعة من الرجال العرب (**الذين يمتهنون هذه المهنة**) إلى أن تتحول إلى ذرات صغار تستخدم فوراً وإلا تحولت إلى مادة غير صالحة لو تركت أكثر من يوم دون استخدام .

إن مادة الصاروج تقاوم الماء ولها استدامة طويلة – وتستخدم هذه المادة في بندر عباس أيضاً (**حامدون**) .

يمتاز أهالي هرمز ببياض البشرة وحسن الطلعة ونساؤها جميلات ويتحدث الجميع بالفارسية ولكن ليس بنفس الجودة التي على اليابسة وبعض شيوخها سنه والبعض من أتباع علي ولكن الغالبية سنه وكذلك ملوكهم. هذا وتتواجد جنسيات ومذاهب أخرى على الجزيرة مثل المسيحيين والنسطوريين اليهود والوثنيين والبانيان واليعقوبيين وأما عن الجنسيات فمنهم البرتغال والأرمن وأهالي جورجيا (**الجرجان**) والبنغاليين والكامبين (**من ميناء كامبي أو كامبايا**) .

ورغم عدم وجود المنتجات الزراعية على الجزيرة إلا أن عملية الاستيراد كبيرة وبأسعار معقولة ويباع كل شئ بالوزن .

مناخ جزيرة هرمز صحي ولا توجد الأمراض فيها وخاصة في الصيف وذلك بسبب الجو الحار والعرق الشديد الذي يطرد المرض من الأبدان . ولكن تكثر الأمراض في الخريف .

وختاماً فإن جزيرة قارون جزيرة مفتوحة لكل العالم ويتم فيها تبادل كل أنواع السلع التي تجلب إليها بواسطة التجار من مختلف جهات العالم هذا وإنني سوف أعود الآن إلى موضوعي الأصلي وهو نشأة هرمز .

ويقال أن نشأة الجزيرة مرتبطة باسمها الذي أطلق عليها في عام ٧٠٠هـ الموافق ١٣٠٢م ولقد نمت وتمتعت بالرفاه الاقتصادي حتى سبقت كل الأجزاء الأخرى في فارس والجزيرة العربية ووصل نفوذها إلى البصرة .

وبقيت على هذا المستوى إلى أن دخلها البرتغاليون ومارسوا فيها الاضطهاد (**يبدو أن بيدرو تينحسيرا يذكر الحقيقة هنا ولكنه يحاول تحاشي المواجهة مع السلطات البرتغالية فيقوم بمدح قبطان الحامية ديجو مونس برتو [Diego Munis Barreto] ليغطي على ذلك**) .

حكم غياث سيفين الجزيرة مدة عشر سنوات ويقال أنه توفي في نهاية هذه الفترة في عام ٧١١هـ الموافق ١٣١٢م .

وفي حكاية أخرى أنه بعد استتباب أمور هرمز تنازل عن الملك إلى عز الدين جوردون شاه ابن سلفر وبيبي زينب وحيد الملوك الأوائل وعاد غياث بعد ذلك إلى ولايته (**وزير**) في قليهات وتوفي فيها .

– إن لقب بيبي والذي ذكرته عدة مرات يعني بالفارسية السيدة – يعتبر الأمير فخر الدين غوردن شاه ثاني ملك لهرمز في عهدها الجديد والسادس عشر في عهدها القديم (**ويعتبر كوتو وباروس أن هرمز أعلنت استقلالها في عهد عز الدين غوردن شاه عن السلطة العربية والفارسية**) بعد توليه السلطة أرسل سفراءه إلى جزيرة قيس للملك معين لعقد الصلح ولكن رفض معين هذا الصلح .

وفي عام ٧١٤هـ الموافق ١٣١٥م حاصر ملك جزيرة قيس وجنوده وسفنه الكثيرة العدد جزيرة هرمز مرة أخرى ولكن تمكن غوردن شاه من التحصن وتوفير المؤن اللازمة حتى أن الأسعار لم تتغير أثناء فترة الحصار ولم يكن هناك نقص في الغذاء وبعد حصار دام أربعة أشهر طلب ملك قيس الصلح ولكن كانت له نوايا سيئة في ذلك وعقد موعد للقاء الملكين وعلى ساحل الجزيرة نزل ملك قيس في انتظار ملك هرمز وما أن وصل حتى حمله الأول (**حيث كان قوياً جداً**) إلى طراده (**سفينته**) وهرب به إلى جزيرة قيس أمام أنظار أهل هرمز .

عندما وصل الخبر إلى زوجة غوردن شاه (**بيبي سلطان**) طلبت من ملك غياث الدين دينار ابن أخيها شاهنشاه أن يتولى الحكم في الجزيرة، وبعد

خمسة أشهر عاد ملك قيس ومعه ملك هرمز مقيداً على سطح الطراد وفي منتصف الطريق هبت عاصفة عظيمة مزقت السفن وتحطمت السفينة التي تقل غوردن شاه على سواحل هرمز فأنقذه الناس ولكن لم يتنازل ملك غياث الدين دينار عن السلطة لذا التجأ غوردن شاه إلى بيت خواجه محمد كاتب وكان هذا الشخص هو السكرتير الخاص لغوردن شاه - ونظراً لعدم اطمئنانه انتقل في نفس الليلة إلى الأراضي الفارسية واستقر في قلعة ميناب وجمع جيوشه فساعده الملك عز الدين حاكم شيراز لغزو هرمز وكان السبب في ذلك تردي الموارد المالية في جزيرة قيس (**نتيجة لقيام غوردن شاه باحتجاز السفن القادمة من الهند والمتجهة إلى جزيرة قيس**) في جزيرة هرمز - عندما بلغت أخبار استعدادات الغزو ملك هرمز توجه بجيشه إلى ميناء سرميون (**باسيدو أو باسعيدو**) في جزيرة قشم لكي يمنع القوات الغازية من التزود بالماء وبعد وصوله إلى هناك بلغته أخبار السفن العشر القادمة من الهند والمتواجدة في مسار مائي بين هرمز ولارك فتوجه إلى الموقع المذكور وقام باحتجاز السفن التجارية في جزيرة هرمز .

واجهت القوات الغازية (**مائة وعشرون سفينة**) عاصفة قوية قرب ميناء سرميون وتحطمت غالبية السفن المهاجمة والتجأ ما بقى منها إلى جزيرة هنجام .

وعندما بلغت أنباء استيلاء غوردن شاه على سفن الهند استعد ملك قيس لمواجهته .

فاستعد له غوردن شاه في اثني عشر ألفاً من جنوده ونزل إلى ساحل جسيرو (**أوشيرو**) وهزم أول محاولة للملك قيس مع فقدان الأخير لكثير من السفن والرجال ولحق به غوردن شاه بعد نصيحة قائده البحري صخر ركن الدين وألحق الهزيمة الكاملة بأهالي وجنود جزيرة قيس (**وتعني القلعة الزرقاء**) .

عندما بلغت الأخبار ملك غياث الدين ورأى أن رجاله تخلوا عنه إلى غوردن شاه هرب إلى مكران (**مملكة بين فارس والسند**) فجاء الأمير عز الدين غوردن شاه إلى جزيرة هرمز وبقى فيها سنتين وتوفي في ٧١٧هـ الموافق ١٣١٨م .

تولى الأمير مبرز الدين بهرام شاه ابن عز الدين غوردن شاه أمور المملكة بعد وفاة أبيه وكان الملك السابع عشر لهذه الإمارة ولكن اتفق الجنود في

الحامية الواقعة على اليابسة أن يعينوا أخاه الشاه قطب الدين مكانه وأتوا به من بركه (**أقرب موقع بهذا الاسم بركة بندر أو بركة ميرازي**) إلى ميناب .

خرج بهرام شاه لمواجهة أخيه قطب الدين فوجده مع أخ آخر يدعى ملك نظام الدين فحاربهم وانتصر عليهم وعاد إلى هرمز .

وكان كبار قواد مير شهاب الدين يوسف ومير تقي الدين زنكشاه الأول في البحر والثاني في البر وقد أثارهما الحسد فقاما بالاضطرابات في المملكة مما أدى إلى اعتقالهما، في هذه الفترة هجم رجال قيس مرة أخرى ولكنهم هزموا مثل المرات السابقة وفي أثناء الموقعة أضطر بهرام شاه لإطلاق سراح السجينين وتوجه لملاقاة أخويه مرة أخرى حيث أثارا المتاعب من جديد ولكن لسوء الأحوال الجوية عاد إلى منزله في الليل .

في منتصف تلك الليلة جاء القائد مير شهاب الدين إلى بوابة القصر ومعه الجنود الراجلة والراكبة وطلب الملك مدعياً أن بيبي سلطان سلفر قد هجمت على الجزيرة فخرج الملك وتبعته أمه وأخوه نظام الدين عجم شاه ، فألقى القبض عليهم جميعاً وأخذهم إلى السجن وأعلن نفسه ملكاً على الجزيرة وكان ذلك في ٧١٨هـ الموافق ١٣١٩م .

فانقسم الناس إلى مجموعتين الأولى مع مير شهاب الدين يوسف الملك والأخرى مع مير قطب الدين أخ الملك المسجون .

انتهز ملك دينار الفرصة وعاد من مكران مع قوة عظيمة مدعياً أنه جاء لمساعدة مير شاه قطب الدين ولكن بعد وصوله إلى الجزيرة التحق بالطرف المنتصر (**مجموعة شهاب الدين يوسف**) .

قامت بيبي سلطان أخت دينار وبيبي نظام الملك زوجة مير شهاب الدين يوسف بمساعٍ للصلح ولكن قام شهاب الدين يوسف بقطع رؤوس الملك السابق وأمه وأخيه لكي يبقى الملك له وحده .

فتوجه شهاب الدين إلى قليهات مع بيبي مريم زوجة (**عياض**) غياث سيفين، وسمع شهاب الدين يوسف أن رجال جزيرة قيس سوف يعودون مرة ثانية لغزو جزيرته فتوجه لملاقاتهم ولكن خاف مواجهتهم فعاد أدراجه إلى مملكته .

ولكن وبعد سنة واحدة عاد شهاب الدين من قليهات مع الملك جلال الدين قويسي **(أو تونيري)** ومعهم خواجه جمال الدين نعيم وأخذ هرمز في غفلة وزج بشهاب الدين يوسف في السجن .

فقام مير شهاب الدين ابن غوردن شاه بالانتقام من مير شهاب الدين يوسف وقتله وقتل معه زوجته بيبي نظام الملك وقتل معه ابنيه مير عماد الدين أو سين؟ وأخيه الأمير اوسين وكان الجميع سجناء في قلعة **(جنر أو جتان)** ولكن في فترة من الزمان قام كل من ملك جلال الدين قويس وخواجه جمال الدين نعيم **(واللذان أعادا الشاه قطب الدين إلى مملكة هرمز)** بالتآمر عليه لتولي أمور المملكة بدلاً منه ولكن بلغه خبر المؤامرة فهرب وعين جمال الدين نعيم في البحرين أما ملك جلال الدين قويس فالتجأ إلى جزيرة قيس وبقى الشاه قطب الدين في مملكته هرمز في أمن وسلام .

توفي ملك قيس العجوز وتبعه في الحكم ملك غياث الدين وغزا هرمز في جيش عظيم أثناء فترة الصيف حيث يقضي الشاه قطب الدين هذه الفترة في موغستان على اليابسة هرباً من حرارة الجو في هرمز .

ولكن قام محمد سوركاب وإبراهيم سلفر **(قائدا قطب الدين)** بالدفاع عن القلعة وردا الجيوش المهاجمة .

توجه شاه قطب الدين إلى جزيرته وأعد أسطولاً ضخماً لمهاجمة جزيرة قيس انتقاماً من ملكها وبالفعل تم الهجوم وتكبدت جزيرة قيس الكثير من القتلى والدمار الشامل وأخذ ملكها غياث الدين أسيراً وقتل هو وبعض أتباعه .

وقام الشاه قطب الدين بتحصين جزيرة قيس وترك فيها حامية كبيرة وتوجه بعدها إلى هرمز وفي طريق عودته فتح جزيرة البحرين المشهورة بلؤلؤها ومائها العذب الذي ينبع من البحر وسوف أقوم بتقديم شرح عنها **(وكان ذلك حوالي ١٣٣٠م)** .

## جزيرة البحرين :

=====================

تقع جزيرة البحرين في مياه بحر البصرة بين جزيرة قارون أو هرمز والبصرة وتكاد تكون المسافة متساوية وتبلغ مائة فرسخ من البحرين إلى كل

موقع من المواقع المذكورة (**هرمز والبصرة**) وهي قريبة من ساحل جزيرة العرب ومقابلة للقطيف والتي تقع في الإحساء المنطقة التابعة للأتراك وكل سكان البحرين من العرب ماعدا وزيرها الفارسي وحاميته الفارسية وهي تابعة الآن لملك هرمز ولكن في عام ١٦٠٢م قام الشاه الفارسي بامتلاكها بالخيانة(١٦) .

إن تراب البحرين خصب ومنتج وخاصة لأشجار التمور والتي توجد بكثرة في هذه الجزيرة ويوجد قليل من القمح ولكن الكثير من الشعير .

وتعتبر الوجبة الرئيسية في البحرين الأرز ويستورد من الهند عن طريق هرمز .

وتوجد آبار في البحرين ولكن أغلبها ليس عذباً ولكنه صالح للشرب أحسن هذه الآبار (**حنينية**) وهذه البئر عميقة وتقع في وسط الجزيرة وبعدها في الجودة تلك الينابيع التي تتواجد تحت سطح البحر .

وفي مدينة المنامة (**المدينة الرئيسية في الجزيرة**) وعلى عمق باعين أو ثلاثة تحت سطح البحر توجد ينابيع المياه العذبة ويقوم بعض الرجال بملء جلد الماعز منها ويعتبر البعض منهم هذه العملية وسيلة للرزق طول النهار. وأخبرني أحد المعمرين في البحرين أن هذه الينابيع كانت على اليابسة ولكن مع مضي الوقت غمرها البحر وأعتقد أن من هذه الينابيع أخذت الجزيرة اسمها (**البحرين**) وربما يكون الإسم رمزاً لمجريين من الماء يمران في الجزيرة ولكن أعتقد أن التسمية الأولى أصح .

تشتهر البحرين باللؤلؤ وسوف أعطي إيجازاً عن طريقة صيده توجد في الشرق مصائد للؤلؤ أشهرها تلك التي في البحرين في الخليج والأخرى في منار في الهند وذلك الموقع بين جزيرة سيلان وجزء من شبه القارة الهندية يسمى (**توتان كوري**) باللهجة المحلية ولكن نسميه نحن البرتغاليين (**كوموري**) ويلي هذا المكان بندر كورد ومنه تصدر أنواع الأرز في البنغال .

يبدأ الغوص في البحرين في شهر يونيو وأحياناً في يوليو ويستمر حتى شهر أغسطس ويتكون أسطول الغوص من مائتي سفينة أو ربما أقل، مائة من البحرين وخمسون من جلفار (**رأس الخيمة**) وخمسون من نخيلو، وتتجه هذه السفن إلى ساحل قطر على بعد عشرة فراسخ جنوب الجزيرة وبعد صيد

الأصداف تفتح لإزالة اللؤلؤ منها وتمتاز بالجودة والوزن الثقيل لأنه لو قارنا لؤلؤة بنفس الحجم من مكان آخر مع لؤلؤة مساويه من البحرين نجد أن وزن البحرينية أكبر .

ويبلغ حجم تجارة اللؤلؤ في البحرين خمسمائة ألف (**دكتا**) وذلك غير الكمية الكبيرة المهربة بعيداً عن عيون الوزير تحاشياً للضرائب - وتدفع البحرين سنوياً إلى قائد هرمز مبلغ أربعة آلاف دكتا ضرائب من إيرادات اللؤلؤ فيها .

وتستخدم أوزان القيراط والمثقال في عملية وزن اللؤلؤ ويعتبر قيراط عباس ثلث القيراط وكل أربعة وعشرين قيراطاً مثقالاً واحداً - ويعادل المثقال عشرين أو ثلاثين أو حتى أربعين لؤلؤة صغيرة .

ويغوص الغاص في البحرين بعد ربط الحجر في قدمه وعلى عمق اثني عشر إلى خمسة عشر باعاً .

هذا وهناك مغاصات أخرى تستخدم في شهر سبتمبر قرب نخيلو والبحرين وجلفار وأخرى قرب مسقط ورأس الحد وكلها تقع في بحر هرمز الضيق ولكن لا تمتاز هذه المغاصات بالوفرة .

أما عن المغاصات الشرقية الأخرى فهي تسمى شيلاو (**على بعد ثمانية وأربعين ميلاً من كولومبو**) وسميت هذه المواقع على اسم ميناء في جزيرة سيلان في السابق وتعني هذه الكلمة (المصائد) باللهجة المحلية والتي يطلق عليها لسان الشانجلا(١٧) .

ويدخل موسم الغوص في سيلان في شهر إبريل وبداية مايو وذلك بشهر أو شهرين قبل بداية موسم الغوص في البحرين. وذلك لأن الصيف يأتي مبكراً في سيلان عنه في البحرين والبحر يكون هادئاً .

ويتكون أسطول سيلان من أربعمائة إلى خمسمائة سفينة تحمل كل سفينة من ستين إلى تسعين رجلاً ثلثهم (**كروة**) (**غيص**) والباقون مانديسا (**السيب**) ويكون كل اثنين لغواص واحد وتنقسم السفينة إلى عدة أجزاء تسمى (**بتاقا**) وتعني حجرة أو جزءاً من تجويف السفينة حيث يضع كل غواص ما يصطاده على حده عن غيره ويسمون المحار (**شيبو**) ولا يقومون بفتحها حتى يؤذن لهم بعد توقف الصيد والذي يستمر ستة عشر يوماً ثمانية أيام لكل مجموعة وبعدها يفتح المحار وتصطاد كل سفينة يومياً من مائة إلى ألف محارة

ولا يحاولون اصطياد أكثر من ذلك محافظة على أسعار اللؤلؤ .

وبعد مضي ستة عشر يوماً إذا كان الصيد غير كافٍ تمدد الفترة إلى نصف (**بيلو**) أربعة أيام أو بيلو كامل (**ثمانية أيام**) ويجازى الغيص يومياً لقيامه بعمله (**أي يعطى نقوداً مقابل العمل**) ويعطون مقابل ذلك ما يصطاده الغيص في غطسة واحدة لربان السفينة ويحتفظ بالباقي لنفسة (**لذا توضع كل مجموعة على حدة**) ويختار ربان السفينة صيد غطسة يختارها بنفسه وفي نهاية كل أسبوع له صيد يوم كامل وتقدم كل سفينة صيد يوم كامل لحاكم المدينة (**مدينة مرورة**) وكانت في السابق تقدم كمية لزوجة قائد الحامية البرتغالي ولكن أوقفت هذه العادة الآن بأمر من رؤساء الشركة (**اليسوعيين**) والذين يديرون منذ بداية القرن السابع عشر الأمور التجارية والدينية لسكان الساحل الشمالي الغربي للجزيرة ورغم معارضة الرهبان (**الفرنسيسكان**) فلقد أوقف اليسوعيون ما كان يقوم به القائد البرتغالي لمخالفته للنظام .

ويغوص الغواص إلى عمق عشرة أبواع وتشارك سفينتان برتغاليتان في حماية أسطول الصيد خشية هجوم قراصنة ملبار – ويشترك ما يقارب من خمسين إلى ستين ألفاً من التجار والبحارة وصيادي الأسماك والخدم في موسم الغوص ويقيمون في معسكرات متنقلة وتبلغ إيرادات اللؤلؤ مليوناً ونصف مليون من العملات الذهبية كل عام .

وبعد انتهاء موسم الغوص يعلن عن بدء فتح المحار وتلتقط اللآلئ إن وجدت في المحار وتؤخذ إلى ميناء توتان كوري حيث يقام سوق لبيع اللؤلؤ من منتصف شهر يونيو حتى أكتوبر ويتم تسعير اللؤلؤ بطريقة قياس (**الجو**) وتباع اللآلئ في مبانٍ مثل مبنى الجمارك حيث يشرف عليها دلالون تابعون لحاكم البلاد (**النايك**) الذي يأخذ ٤٪ من البائع ولا يأخذ أي شيء من المشتري. وللمشتري حق تغيير رأيه بعد يومين دون جزاء .

إلى جانب عملية البيع المنظمة تتم معاملات سرية في اللؤلؤ المهرب تحاشياً لضرائب الحاكم وتشترى وتباع حسب نظام (الجو) .

وتوجد لآلئ من الصين ولكنها ليست بنفس الجودة وتسمى (**توبوس**)

(**أغطية**) لأشكالها الغريبة وقد كتب الكثير عن اللؤلؤ ومع احترامي لكل ما كتب لا أستطيع أن أتفق معهم في الرأي بأن اللؤلؤ يتكون نتيجة نقطة مطر تسقط داخل المحارة حيث أنه لا يعقل أن تطفو هذه المحارة الثقيلة إلى السطح لكي تبتلع نقطة المطر ونعلم أيضاً أنه كلما كانت المحارة على عمق أكبر كانت اللؤلؤة أكثر جودة .

وأكثر من ذلك وجدنا أنا واليسوعيين والوثنيين العاملين في صيد اللؤلؤ أن هناك جزءاً من المحارة لو قطع وجعل بالماء يتحول إلى لؤلؤة كما لو كانت غير ملتصقة. ولذا أؤكد أن اللؤلؤ يتكون من نفس مادة المحارة لسبب أو آخر فهي نفس تركيبات المحارة الحاوية لها .

ولكن أتعجب من وصفات الأطباء الذين يستخدمون اللؤلؤ في الوصفات الطبية .

بعد هذا العرض الكامل والذي أدخله بيدرو تينحسيرا في سياق الحديث عن جزر البحرين يعود الآن مملكة هرمز مرة أخرى .

عندما احتل شاه قطب الدين البحرين احتل القطيف وديراب (**جزيرة تجاه شط العرب**) وربما تكون هندرابي. وأصبح سيد الشواطئ الخليجية العربية والفارسية وأصبح له دخل مادي كبير .

وكان لشاه قطب الدين أخ يسمى نظام الدين أحبه كثيراً ولكن كان الأخير يتآمر على أخيه قطب الدين .

رافق نظام الدين أخاه قطب الدين في رحلة صيد إلى اليابسة في منطقة (**رودخانه سور**) (**نهر الملح**) في اتجاه (**مريدون**) فانتهز نظام الدين الفرصة مدعياً أنه يطارد أرنباً برياً واتجه هو ورجاله إلى (**دوسر**) مقابل جزيرة هرمز وهناك عبر البحر وعاد إلى هرمز وقد سقطت في يده بسهولة حيث كان كبار القوم في صحبة الملك في الصيد فعاد الملك إلى الساحل المقابل واستقر في (**كولجهان**) يستعد للعبور إلى جزيرة هرمز وكان ذلك في ٧٤٥هـ الموافق ١٣٤٥م .

وبعد استقرار نظام الدين أرسل إلى المناطق التابعة له رسله ليخبرهم بذلك ويطلب من الولاة فيها الولاء له واعداً إياهم بالهدايا والمكافئات .

لم يستجب الولاة لهذا الطلب ماعدا (**هيراهتان**) والتي طلبت منه في الصيف إرسال دعم عسكري يساعد الأهالي ضد هجمات رجال قطب الدين مهددين أنه لو تأخر هذا الدعم فانهم سوف يتحولون إلى قطب الدين .

قرر نظام الدين العبور إلى اليابسة للدفاع عن مناطق نفوذه مستعيناً بوزراء قطب الدين وقيادته العسكرية ولكن رفض الجميع مساعدته ماعدا (**عمر ضياء الدين**) حارس البوابة وأحد القواد الكبار والذي أعلن ولاءه لنظام الدين .

بعد ذلك عبر نظام الدين إلى اليابسة وتوجه إلى منطقة كولجهان فتقابل الجيشان، جيش نظام الدين وجيش قطب الدين وكان عمر ضياء الدين وبقية الجيش في صف نظام الدين لذا قرر قطب الدين شاه التراجع إلى (**أسكونير**) منطقة قرب الساحل وعلى بعد أربعين فرسخاً من أرض المعركة وعبر البحر إلى قليهات وإلى جزيرة العرب وبقى هناك سنة واحدة، كان انتقال قطب الدين إلى قليهات بادرة انتعاش اقتصادي حيث تحولت السفن القادمة من الهند إلى قليهات بدل هرمز .

"يذكر ابن بطوطة أنه عندما كان في ظفار أبلغ أن السلطان قطب الدين تهماتان ابن تورانشاه ملك هرمز قد هجم عليها في أسطول عظيم ولكن أرسل الله عليه عاصفة حطمت سفنه ولذا عقد الصلح مع ملك ظفار بدل احتلالها" وتبدو هذه الواقعة وكأنها تؤكد ما يذكره بيدرو تينحسيرا .

بعد استقرار قطب الدين في قليهات وصلته أنباء عن موت نظام الدين وأنه قد أوصى ابنيه شمبه وشادي بالتوجه إلى قليهات وتقديم المملكة إلى قطب الدين مرة أخرى ولكنهما لم يفعلا ذلك (**ويقال حسب رواية ابن بطوطة أن نظام الدين مات مسموماً**) .

أقام قطب الدين العزاء لأخيه وأرسل رسائل تعزية مؤثرة إلى ابني أخيه يخبرهما فيها أنه يعتبرهما مثل أولاده. ولكن لم يهتم الإبنان لذلك وقاما بالضغط على الأهالي والطغيان وأصبح وجودهما خراباً للمملكة .

عندما علم قطب الدين بذلك جهز أسطوله وتوجه إلى جكن (**ميناء قرب جسك**) وكانت مسكونة بالأعراب ودخل

أسطوله في معركة مع أسطول ابني أخيه وانتصر أسطول هرمز وهزم ابني أخيه فعاد منتصراً من المعركة إلى (**كوستك**) حيث قابله أيوب شمس الدين أحد قادته البحريين ومعه دعم عسكري من هرمز لمساعدته فاتجه قطب الدين ومعه الأسطول إلى هرمز ووصل إلى ميناء (**جارو أو كارو**) في هرمز عندما سلم **ابنا** أخيه نفسيهما إليه ولكن بشرط الإبقاء على حياتيهما فقام الملك قطب الدين بنفيهما إلى البحرين .

أعاد قطب الدين تنظيم أمور الجزيرة وأعاد أسعار المواد الغذائية إلى سابق عهدها وسمح للهاربين والمنفيين بالعودة إليها وأعاد إليهم أملاكهم .

ولكن ما إن وصل الأخوان إلى البحرين حتى قاما بالاستعداد مرة أخرى لغزو هرمز .

قام السلطان قطب الدين بالاستعداد من جانبه لدخول البحرين . ويؤكد ابن بطوطه ذلك قائلاً : (*عندما دخلنا هرمز وجدنا السلطان قطب الدين تهماتان ابن تورانشاه وهو رجل طاعن في السن يستعد للحرب ضد ابني أخيه نظام الدين وكان كل ليلة يعلن نية البدء في الحرب وكان وزيره شمس الدين محمد بن علي القاضي إمام الدين الشونكري وكثير من الرجال جاءوا لزيارتي ولكن استأذنوا في الرحيل لانشغالهم باستعدادات الحرب وبقينا ستة عشر يوماً معهم وبعد مقابلة السلطان وابن أخته علي شاه ابن جلال الدين ولقد تسبب استلام نظام الدين السلطة بالانقلاب على أخيه قطب الدين أثناء غياب الأخير عن المدينة في حروب تعتبر المواجهة الحالية بين قطب الدين وابني أخيه جزءاً منها وقد استقر قطب الدين وحاول عدة مرات استرجاع هرمز من أخيه نظام الدين ولكن باءت كل محاولاته بالفشل إلى أن قرر إرسال رسول منه إلى زوجة أخيه نظام الدين بغرض دس السم له وتم ذلك فمات نظام الدين مسموماً وقرر عندها قطب الدين العودة إلى هرمز فهرب ابنا أخيه مع ثروات كبيرة إلى جزيرة قيس وقاما من هناك بأعمال القرصنة واعتراض السفن المتوجهة إلى هرمز ودمروا جزءاً كبيراً من تجارتها*) .

إننا وبالإشارة إلى ما يذكره ابن بطوطه نجد أن هناك تقارباً في الأحداث ما عدا أننا نستطيع أن نؤكد أن التاريخ الذي يذكره ابن بطوطه لزيارته ربما كان ١٣٤٦-١٣٤٧م ولكنه يذكر أنه ترك

اليمن لزيارة مكة في ٧٣٢هـ الموافق ١٣٣٢م وزار هرمز بعد عدة سنوات قادماً من الصين ونعتقد أنها كانت ١٣٤٧م ولكنه لا يذكر أي شيء عن الثلاثة الأيام التي قضاها في هرمز في زيارة ثانية .

نواصل مذكرات بيدرو تينحسيرا فيقول أن السلطان قطب الدين توجه إلى ملاقاة ابني أخيه ودخل جزيرة قيس حيث كان يقيم شادي والذي انتصر في الحرب ضد جيش عمه السلطان .

توجه السلطان مرة أخرى إلى هرمز وعاد للهجوم على هرمز ولكنه لم يجد شادي بها حيث توجه إلى البحرين لملاقاة أخيه شنبه فدخل قطب الدين جزيرة قيس وسلبها وترك بها حامية كبيرة وعاد إلى هرمز ليستعد لغزو البحرين .

عندما علم الأخوان بذلك توجها من البحرين إلى قيس لاسترجاعها ولكن في منتصف الطريق هجرهما جنودهما وقوادهما والتحقوا بالملك وأشهرهم شمس الدين محمود وكمال الدين إسماعيل ونصر الدين مصلح وهم من الزعماء الكبار .

وقبل توجههم إلى هرمز مروا بجزيرة قيس وأنذروا حاكمها مير طه باحتمال وصول أسطول البحرين. ومن هناك توجهوا إلى لفت في جزيرة قشم وأخذوا معهم مير سابق الدين (**قائد قلعتها**) إلى هرمز خوفاً عليه من هجوم الأسطول القادم للحرب .

لم يتراجع الأخوان شنبه وشادي فأبحرا في اتجاه جزيرة قيس ولكن لم يسمح لها بالتوقف فيها فواصلا الإبحار إلى لفت أرسل ملك هرمز قواته إلى المقدمة لملاقاة أسطول البحرين وعسكرت هذه القوات في ميناء (**دارجودن**) قرب لفت في جزيرة قشم فقام جيش الملك بالهجوم البري والبحري وهزم أسطول البحرين الذي أضطر للعودة بعد خسائر كبيرة إلى جزيرة البحرين. ومع وصولهما إلى البحرين ابتدأ الصراع بين الأخوين كل يتهم الآخر بسبب الهزيمة التي أحلت بهما فقام شادي باعتقال شنبه وزج به في السجن وكاد يقتله لولا تدخل والدتهما في ذلك والتي قامت بإطلاق سراح ابنها شنبه .

وما أن أطلق سراح شنبه حتى توجه إلى قرية قرب شيراز (**تدي فال**) واستقر بها وهذه القرية جاء منها كل

وزراء هرمز والرؤساء شرف الدين والرئيس نور الدين وبدر الدين .

"يبدو أن ملوك هرمز اختاروا وزراءهم من طائفة (**الخواجه**) والتي استقرت أصلاً في قرية فال، والرئيس أو الرؤساء هم حكام صغار وعلى جميع المستويات ويخضعون للملك هرمز أما الشريف أو الأشراف فهم خزنة الملك".

عندما أدرك حاكم شيراز شخصية الرجل المقيم في فال أرسل في طلبه وأكرمه وعامله معاملة عظيمة .

عندما جاء الضيف توجه الشاه قطب الدين ملك هرمز وبلاطه إلى نخلستان (**في مغوستان**) على الأرض الفارسية حيث تكثر الأشجار والمياه العذبة وذلك لقضاء فترة الصيف لكن وافاه الأجل هناك بعد عدة أيام من وصوله وكان ذلك في ٧٤٧هـ الموافق ١٣٤٧م .

بعد وفاة الأب تولى الابن توران شاه ابن قطب الدين شاه الحكم في هرمز وهو الذي كتب الشاهنامه الخاصة بهرمز وتاريخ ملوكها وبصورة مطولة وليس بالصورة التي أقدمها الآن. وكان ملكاً متواضعاً أحبه الناس وما أن تولى إمارة هرمز حتى أرسل حاكماً نائباً عنه إلى جزيرة قيس (**محمود عمر**) وهو رجل شجاع وذو كفاءة إدارية وخبرة طويلة ومع علم شادي في البحرين بشجاعة وإقدام محمود عمر في قيس فإنه لم يتراجع عن محاولة دخولها بأسطوله مرة أخرى وهزيمته للمرة الثانية والتي تبعها عملية التآمر التي قام بها مع أحد أقارب محمود عمر للنيل منه في الفرصة السانحة فقام شادي بطلب الصلح وأبدى رغبته في لقاء محمود عمر من أجل ذلك عندما تم اللقاء جاء شادي إلى المكان المخصص واستطاع أن يعزل محمود عمر في مكان بعيد عن مرافقيه وأن يعمى عينيه وكانت هذه العملية من الوسائل التي يمارسها ملوك فارس وهرمز انتقاماً من المناوئين لهم وخاصة من أقربائهم وفي هرمز كان هناك برج قريب من (**مزار سانتا لوسيا**) الآن هذا البرج كان يستخدم لسجن من تم تنفيذ ذلك الحكم فيه من أقارب ملوك هرمز. وكانت هذه العملية تتم بواسطة تسخين وعاء من النحاس على النار حتى يتوهج وبعد ذلك يتم تقريبه من عيني الشخص، وتؤدي الحرارة والتوهج إلى تلف عصب العين مع بقاء العين كما هي دون وجود أية جروح أو إصابات خارجية .

وبعد عمى محمود عمر أصبح شادي حاكم هرمــز المطلق فأرسـل ملـك هرمـز أسطوله إلى قيس لاعتقــال شـادي ورغـم الحصار المضروب على الجزيـرة اسـتطاع الفرار والتوجه إلى لفت في جزيـرة قشـم فوصـل الملـك إلى مينـاء دراجـودن قـرب لفت وهناك تخلى أصدقـاء شـادي عنـه والتحقوا بمعية الملك فهرب شـادي مـرة أخـرى إلى البحريـن وتـوفي بعـد وصولـه إليـها – فقـام تـوران شـاه بتوليـة ابــن شادي على البحرين .

ما إن بلغت أنبـاء وفـاة شـادي إلى أخيه شنبه في شيراز حتى توجه مسرعاً إلى البحرين وقام باحتلالها والانتقام من كل من ساعد أخاه ضده وقتل الكثـيرين ولم يسلم من ذلك حتـى الأطفـال (**قتـل ولي العـهد والـذي كـان طفــلاً آنــذاك**) وهرب الكثيرون من الجزيرة. فتصدى له (**مير عجب**) ومرافقوه وعائلتــه وهجمـوا على منزل شنبه وقتلوه .

بعـد مقتـل شنبـه تم إطـلاق أحــد الزعمـاء المسـجونين (**محمـد البــهلوان**) وطلب منه مير عجب أن يتنازل له (**أي لمير عجــب**) عـن حكـم البحريـن ولكـن رفـض البـهلوان ذلـك وتوجـه إلى قلعــة القطيـف برفقـة زعيـم عربـي آخـر مــن (**الصفـاف أو الصحـاف**) ويسـمى حمـد الرشيد .

إتجه الاثنان إلى الشيخ ماجد حاكم القطيف يطلبان مساعدته العسكرية ضـد مير عجب، وعلى غفلة منهما قام الشيخ ماجد بإلقاء القبـض عليـهما وإرسـالهما مقيديـن إلى هرمـز برفقـة الزعيـم (**علــي المشدي**) .

لما بلغ السجناء هرمز أخبروا ملكها توران شاه بما جرى في البحرين فـأبحر معـهم إليـها وقـابل هنـاك مـير عجــب والـذي طلـب مـن الملـك تعيينـه حاكمـاً عليها مقابل ما قـام بـه تجـاه الطاغيـة شنبه .

على عكس ما توقع مير عجب قـام الملـك تـوران شـاه بعزلـه عـن البحريــن فالتجـأ إلى (**الديـر**) ولكـن قـام رجـال توران شاه بـالقبض عليـه وإحضـاره إلى ملكهم الـذي أمـر بقطـع رأسـه وإطـلاق سراح السجينين (**البهلوان والشيخ حمد الرشيد**) .

توجـه تـوران شـاه بعــد ذلــك إلى القطيف حيث لقيه شيخها مـاجد بكـل حفـاوة واحـترام وبعـد مضـي عـدة أيـام هناك عاد إلى البحريـن ومنـها إلى هرمـز مرة أخرى .

إلى هذا الحد من التاريخ المذكور عن ملوك هرمز كان مصدرنا ما كتبه الملك توران شاه والذي حكم ثلاثين عاماً توفي بعدها في ٧٧٩هـ الموافق ١٣٧٨م وتبعه في الحكم أبناؤه كما يلي: الأول مسعود وتلاه شهاب الدين وبعده سلفرشاه والذي حكم الجزيرة والجزء من اليابسة المقابل لها ويقال أنه أراد في لحظة من لحظات عنفه أن يدفن البحرين الجزيرة واليابسة لتصبح هرمز مملكة واحدة وهو الذي كان يغني بأعلى صوته ضد الدولة الصفوية قائلا (**قلب أعدائي يحترق لأنني رجل في أرض محاطة بالبحر**) ويعني عدم استطاعة الدولة الصفوية الانتقال عن طريق البحر إلى جزيرته ومع أن الدولة الصفوية ملكت السواحل كلها واليابسة ولكنها ذهبت دون أن تطال جزيرة هرمز .

مع وجود قبائل ساحلية موالية للشاه الصفوي مثل العماديين وقبائل قول .

هنا يجب أن نذكر أن الصفويين وجدوا قبل الشاه إسماعيل الصفوي والذي كان ملكاً لفارس عند وصول البرتغاليين إلى هرمز .

توفي سلفر شاه وبعده تولي (**الشاه ريس**) الحكم وتلاه الشاه سيف الدين وكان الأخير ملك هرمز عندما دخلها الفونسو دا البوكيرك في ١٥٠٧م ورغم تطوير هرمز بقيت العائلة الملكية تتوالى في السلطة على الجزيرة .

ولكن بقيت سلطتهم في حدود الجزيرة وعلى رعاياهم الأصليين فقط وحددت السلطة البرتغالية تنقلاتهم إلى خارج الجزيرة دون إذن من قائد حامية هرمز، وبما أنه لم يكتب أحد من الملوك التابعين لتوران شاه أي شئ عن تاريخ هرمز وملوكها لذا أتوقف عند هذا الحد من تاريخ هذه المملكة .

تعقيب ورواية أخرى عن توران شاه :

يذكر عبد الرزاق (**أحد زوار هرمز**) أن ملكها كان فخر الدين توران شاه عند زيارته لها ويبدو من مقارنة الفترة الزمنية التي توفي فيها توران شاه بأن الأولاد الأربعة الذين تبعوه في الحكم هم في الحقيقة أبناء ابنه فخر الدين وليسوا أبناءه ولكننا لا نعلم فترة حكم فخر الدين ولكن نستطيع أن ندرك بأنه في هذه الحالة خلفه أبناؤه بالترتيب الآتي: الأول مسعود والذي حكم إلى أن

توفى وبعده شهاب الدين **(ونستطيع أن نؤكد في هذه الحالة بأن نهاية فخر الدين توران شاه تقع في الفترة القريبة من ١٤٥٥م)** وقد زار هرمز **(جوسافا باربارو)** من البندقية حيث يقول أن سيد البلاد يدعى سلطان شهاب الدين ويقول أيضاً أن هرمز تدفع الجزية إلى الملك عاصم بك **(حاكم فارس التركماني في تلك الفترة الزمنية)** والذي توفي في ١٤٧٨م ويبدو أنه من التواريخ المقدمة من زيارة باربارو بأن شهاب الدين قد حكم إحدى عشرة سنة فقط ١٤٦٥-١٤٧٦م .

أما باروس **(Barros)** فهو يقول أنه عندما توفي توران شاه الملك حكم بعده ماجد شهاب الدين وسلفر حافظ وشاويس وأن حكمهم استمر عشر سنوات للأول وإحدى عشرة للثاني والثالث سنة ونصف .

أما كوتو **(Couto)** فيقول أن تورانشاه خلف أربعة أولاد مسعود شاه، شهاب الدين، سلفر، وشاويس والذين تميز عهدهم بالإرهاب ما عدا مسعود شاه، والذي حكم عشر سنوات وشهاب الدين وحكم إحدى عشرة سنة، وشاويس وحكم سنة ونصف سنة، أما سلفر فهرب إلى الإحساء بعد ثورة أخيه عليه واستعان بملك الإحساء وعاد بجيش كبير استرجع بواسطته الحكم مرة أخرى .

أما باروس فيقول إن سلفر كان حاكماً لقليهات عندما استولى أخوه الأصغر على السلطة ولذا هرب سلفر إلى الإحساء واستعان بالرئيس نور الدين والرئيس كمال الدين رئيس شيلاو واستطاعوا هزيمة جيش شاويس وسملت عيناه .

أما عن ملوك هرمز في الفترة البرتغالية :

فرغم أن ملوك هرمز وبعد دخول البرتغاليين إليها أصبحوا دمى في أيدي السلطة البرتغالية إلا أن العائلة المالكة استطاعت أن تواصل وجودها الاسمي والذي يخلو من أية سلطة أو حضور إداري إلى أن قام الصفويون بطرد البرتغاليين من هرمز ١٦٢٢م .

فلذلك يذكر كوتو مرة أخرى بأن سيف الدين حكم عشر سنوات تلاه أخوه توران شاه والذي حكم تسع سنوات ويبدو أن هذا التغيير حصل في عام ١٥١٥م حيث يذكر كوريا **(Correa)** بأن الملك في هرمز يسمى

توران شاه والذي يبلغ من العمر اثنتين وعشرين سنة وأن والدته كانت حبشية وفي رواية أخرى أن هذا الملك دس وزيره له السم وعين مكانه شاباً يبلغ الثالثة عشرة من العمر يسمى محمد شاه ابن سيف الدين والذي حكم تسع سنوات فقط ويبدو أن لسيف الدين ولدان في عام ١٥١٥م أحدهما في التاسعة والثاني في الثانية وأنه في عام ١٥٣٢م كان هناك أخ للملك وهو شاب يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً وكان يدعى الرئيس علي وقد تم ترحيله إلى جوا في الهند لمحاولته دس السم إلى الملك محمد شاه وبعد وفاة محمد شاه قام قائد حامية هرمز باختيار أحد أبنائه (**أي ابن محمد شاه**) ويبلغ من العمر ثماني سنوات وتم تعيينه ملكاً للبلاد في عام ١٥٣٤م وقتل الطفل المذكور بالسم مرة أخرى نتيجة مؤامرة من عمه في جوا (**الرئيس علي**) ونقل الرئيس علي وهو الوريث الشرعي للملك من جوا إلى هرمز وسلم زمام السلطنة ولكن تم ترحيله مرة أخرى إلى جوا في عام ١٥٤٢م نتيجة لجنونه وإفراطه في شرب الخمر وأعيد مرة أخرى بعد سنتين ولكنه لم يبقَ طويلاً في الحكم .

ويذكر كوتو أنه بعد وفاة سيف الدين خلفه سلفر شاه ابن توران شاه والذي تم ترحيله سابقاً بواسطة القائد البرتغالي إلى جوا منعاً لانشقاق وانقسام العائلة وأبقاه في كوشين وكان له ولد يسمى توران شاه وكانت والدته حبشية وتسمى (**بيبي غزاله**) وذلك لتشابه عينيها بعيني الغزال وأعيد سلفر إلى هرمز بعد وفاة سيف الدين لاستلام الحكم وتوفي في نوفمبر ١٥٤٣م مسموماً .

وتختلف الرواية مرة أخرى حيث يذكر كوريا أنه بعد وفاة سلفر تسلم السلطة ابنه توران شاه (**قادماً من هرمز**) ويؤكد مؤرخ آخر (كوتو) أن القائد البرتغالي نونو دي كونها (**Nuno da Cunha**) كان قد نفي والد توران شاه وعمه (**بابو شاه**) إلى جوا وأن الأخير تزوج من امرأة من تلك البلاد ورزق بابن سمى فاروق شاه وأنه بعد بلوغ بابو شاه التسعين من العمر قرر العودة إلى هرمز وحصل على تصريح بذلك من القائد البرتغالي دي بيدرو دي سورا (**D.Pedru de Soura**) والذي تم تعيينه قائداً لحامية هرمز في ١٥٦٢م

ويقول كوتو أنه في عام ١٥٦٣م توفي توران شاه وتبعه الرجل المسن بابو شاه والذي لم يستمر حكمه أكثر من سنة وحكم بعده ابنه فاروق شاه وتصف المراسلات البرتغالية أنه نصب حاكماً في احتفال كبير وتدل على أنه أعطيت له الصلاحيات المعطاة سابقاً للملك توران شاه في ١٨ مارس ١٥٦٩م .

ويبدو أنه حكم مدة طويلة حيث توجد مراسلات برتغالية تذكر أن الملك العجوز يود أن يتنازل لابنه الثاني محمد شاه (في ١٥٩٨م) والذي كانت والدته أخت الوزير ولم يوافق نائب الملك في الهند على ذلك حيث نصح فاروق شاه أن يعين ابنه الأكبر فيروز شاه وأن يحاول تزويج ابنه هذا من ابنة الوزير ويبدو أن الملك فاروق شاه قد توفي في ١٥٦١م وتم تعيين مير فيروز شاه مكانه وأنه قد توفي في فبراير ١٦٠١م وعين مكانه أخوه محمد شاه .

ودخل الإنجليز والفرس إلى هرمز في عام ١٦٢٢م وانتهى بذلك عهد البرتغاليين فيها وكان آخر حاكم عليها محمد شاه وأعتقل الملك وعائلته ونقلوا جميعاً إلى فارس وبذلك انتهت مملكة هرمز إلى الأبد .

# الهوامش

١ – هذه الملحمة كانت في نسخة واحدة مخطوطة فقط وفقدت أثناء الهجوم الإنجليزي الفارسي على قلعة هرمز في ١٦٢٢م .

٢ – الخان – بندر بير الخان والمياه الضحلة المقصود بها هنا مياه رأس المطاف والتي بنهايتها رأس الخان .

٣ – ريشل – المقصود بها بوشهر .

٤ – ريخ سيف الدين – المقصود به بندر ريخ وهو الخليج الترابي .

٥ – نهر رشتل هو خور سلطاني – أما بندر ريخ فهناك خور أصغر من خور سلطاني .

٦ – منطقة خربة ولكنها غير موجودة الآن في خريطة المسارات المائية في منطقة الخليج ويبدو أنها كانت مدينة غمرتها المياه .

٧ – يبدو أن هذه المعلومات غير صحيحة وربما نقلت إلى بيدرو تينحسيرا بواسطة أحد البحارة على السفينة أو حتى قبطانها .

٨ – هذه جزيرة تسمى الآن المحلة .

٩ – يعتقد أنها منطقة قرب البصرة .

١٠– أن بعض سكان البصرة من المسيحيين المقيمين و البعض من الهنود الذين كان عددهم ثلاثة آلاف آنذاك .

١١– إبراهيمي هي منطقة بندر إبراهيم أو خور ميناء شرق هرمز .

١٢– نعتقد أن هذا يعني هجوم المغول على أرض فارس .

١٣– تسمى قيس أو كيش أو قن .

١٤و١٥ – لا نستطيع تعيين موقع دنو ولكن كومزاره هي ميناء كومزار قرب رأس مسندم ولفت ميناء على جزيرة قشم وربما تكون كومزاره تحريف لموقع آخر يسمى ضمير مقابل لفت .

١٦– يكتب السير روبرت شيرلي في أكتوبر ١٦١٤م إلى شركة الهند الشرقية قائلاً "البحرين جزيرة مقابلة لساحل الجزيرة العربية وعلى بعد أربعين فرسخاً من ساحل فارس ومنتوجها الرئيسي

اللؤلؤ والذي يعتبر أحسن لؤلؤ في العالم وقد أخذها ملك فارس من البرتغاليين وترك بها حامية من ٨٠٠ فارس وتحيط بهذه الجزيرة الصخور المرجانية والتي تجعل الملاحة في مياهها صعبة جداً" .

ويكتب توماس بويس إلى اللورد سالسبري قائلاً (في ١٠ يونيو ١٦٠٩م) "أخذت جزيرة البحرين بواسطة ملك فارس منذ ستة سنوات أي (١٦٠٣م) .

ويؤرخ مؤرخ ثالث ذلك الحدث قائلاً "بعد أن قام وزير البحرين بقتل أحد التجار فيها واستولى على لؤلؤه قام أخ القتيل وقتل الوزير منتقماً لمقتل أخيه واستولى على قلعة البحرين وفتحها للفرس وقرر قائد هرمز دي بيدرو كوتينهو (D.Pedru Cotinho) إرسال أسطول تحت قيادة دي فرنسيسكو دي سوتومايور (D.Francisco de Sotomayor) لاستعادة البحرين. وأرسل وزير هرمز (أو رئيس هرمز أو الحاكم) عن طريق البر لنفس الغرض .

فلما بلغ النبأ حاكم شيراز وردي خان أرسل جيشاً كبيراً تحت قيادة آدم سلطان ليحاصر ميناء جابرون (بندر عباس) لكي يصرف البرتغال أنظارهم عن البحرين وفعلاً كاد البرتغال أن يستعيدوا البحرين ولكن نتيجة لتغير قائد هرمز بواسطة نائب الملك في الهند (نتيجة وشاية) وتعيين قائد جديد ديجو منزيس بارتو (Diogo Menzis Barreto) والذي أصيب بالمرض، وكذلك تفشي الحمى في الجنود البرتغاليين المهاجمين وإصرار أهل البحرين في الدفاع عنها كل ذلك أدى إلى فشل مهمة القائد البحري جاسبر دميلو ديسامبايو (Gaspar de Millo de Sampaio) (يبدو أن هذا ثاني قائد ترسله هرمز إلى البحرين) .

ويروي جوفيا (Gouvea) أنه ما إن بلغت أنباء الأسطول البرتغالي المتوجه من الهند إلى البحرين في عام ١٦٠٣م تحت قيادة دي جورج كاستلبرانكو (D.Gorge d Castelbranco) قام وردي خان بإرسال أسطوله لمحاصرة بندر عباس (جابرون) واحتلال مناطق في هرمز تابعة لملكها. ولكن قام الشاه وأمره بالعودة إلى شيراز وإعادة البحرين إلى البرتغاليين ولكن هذا الأمر لم ينفذ .

وفي رسالة مؤرخة ٢٥ فبراير ١٦٠٥م يبدي ملك أسبانيا مخاوفه من احتلال الأتراك للبحرين ويأمر نائب الملك بأن يقوم باسترجاع الجزيرة من الفرس وأن يأخذها بالقوة أو بالرشوة لقائد الحامية حتى يتم تسليم قلعتها إلى البرتغاليين. ويواصل الملك اهتمامه بالجزيرة في رسائل لاحقة لنوابه في الهند وكانت آخر رسالة بهذا الصدد في ٢١ مارس ١٦١٧م ولكن بسقوط هرمز في ١٦٢٢م سقطت معها أحلامهم في إسترجاع البحرين .

١٧ – ولكن يقول باروس (Barros) أن شيلاو تعني فقدان الصينية أما يول وهوبسون فيعتقدان أن شيلاو تعني سلابام بلغة التاميل ومعناها الغوص. أما السنهاليون فيقولون بندر هالفاتا (بندر صلوات لابن بطوطة). أما التاميل فيقولون سالابام وتعني مصائد اللؤلؤ .